إســـاءة معاملـــة الأطفـــال

(أنماطها – أسبابها – آثارها – علاجها)

إعداد

أ.د/ أمال عبد السميع باظة

أستاذ الصحة النفسية

ووكيل كلية التربية للدراسات العليا والبحوث بكفر الشيخ

مجلة رعاية وتنمية الطفولة - جامعة المنصورة

العدد (٥) – المجلد (٢) – ٢٠٠٧م

إساءة معاملة الأطفال

(أنماطها – أسبابها – أثارها – علاجها)

أ.د/ أمال عبد السميع باظة

أستاذ الصحة النفسية

ووكيل كلية التربية للدراسات العليا والبحوث بكفر الشيخ

المقدمة :

تعتبر أساليب التعامل و التواصل مع الطفل مهمة جداً في تحديد استجابته للمواقف والأفراد ، حيث تكسبه خبرة انفعالية وجدانية محددة بناءاً على الخبرة الناتجة من التفاعل مع الموقف ، وتتنوع أساليب معاملة الأطفال ابتداءاً من السلبية والإهمال واللامبالاة بإشباع حاجات الطفل وتوكيد ذاته إلى القسوة والعقاب على الطرف الأخر ويلاحظ ان كلا الطرفين لهما تأثير سلبي على شخصية الطفل و أطلق على الطرف الأول إساءة الأطفال Child Abuse وعلي الطرف الثاني إهمال الطفل. وتأخذ الإساءة صوراً متعددة منها الإساءة اللفظية والجسدية والانفعالية والجنسية وترجع لأسباب متعددة قد تتعلق بالطفل ذاته وشخصيته او بالوالدين او أحدهما او المشرفون على الطالب أو أسباب بيئية. وتم استعراض مشكلة العقاب البدني وأثاره السلبية على الأطفال المراهقين. ثم نستعرض لأهم أساليب العلاج النفسية و التربوية للمشكلتين السابقتين وبأسلوب مبسط للأباء والأمهات والمشرفين على تربية الطفل.

تعتبر مشكلة الإساءة والإهمال للأطفال قديمة من حيث وجودها وانتشارها وحدوثها ولكنها حديثا لاقت الاهتمام من حيث أبعاد المشكلة و أسبابها وعلاقتها ببعض المتغيرات وأثارها السلبية على الطفل والمراهق وكيفية علاجها. ويسبق ذلك الوقاية لهذه الفئة من حيث الأسر الأكثر عرضة للإساءة للطفل ودور الرعاية وغيرها من المؤسسات التربوية علاوة على طفل الشارع.

وتنتشر مشكلة الإساءة والإهمال بين جميع المجتمعات المتقدمة والنامية وبين اسر المتعلمين وغير المتعلمين ولو انها في الأخيرة اكثر انتشاراً وحدة وتأخذ صور متباينة التركيب الأسرى والعلاقات داخل الأسرة. بدأ الاهتمام بالأطفال المساء ماعملتهم والمهملين في صورة نصائح تربوية بدون إجراء أبحاث نفسية متعمقة منذ القرن التاسع عشر وبالتحديد سنة(١٨٦٠) قام بها امبريوس أستاذ الطب الشرعي في باريس حيث قدم أوصاف للأعراض التي تظهر على الأطفال الذين ضربوا من قبل والديهم او المشرفين عليهم. واعتمد على الفحوص الطبية وأظهر حالات من الأطفال تعرضوا للموت والقتل والحرق. وبدأت الدراسات النفسية الوصفية والمسحية لهذه الظاهرة المتغيرة في الستينات في عام (١٩٦١) قام بها هنري كيمب H. Kempe بعرض تفصيلي لأعراض الضرب عند الأطفال. ويشير كيمب عام(١٩٧٨) الى ان إساءة معاملة الأطفال أو إهمالهم بدأت حديثاً نوعا ما حيث تحسنت الظروف الاجتماعية والاقتصادية في بعض المجتمعات مما دعي إلى الاهتمام بالإساءة للأطفال .

وتوسعت الدراسات في هذا المجال تبعا لتعدد مناهج الدراسة واختلاف مفهوم الإساءة واختلاف المصادر التي اعتمدت عليها في تحديد الإعداد واوجه الإساءة. وخصوصاً في المجتمعات النامية والبدائية حيث تصل الإساءة أقصاها وأيضاً الإهمال للأطفال ونتيجة لذلك لا يوجد تعريف عملي شامل لسوء معاملة الأطفال و إهمالهم. بل كلها متداخلة ومتعددة لتفشى الظاهرة ووجودها على مستويات عدة.

وفى الولايات المتحدة الأمريكية (١٩٨٥) وجد ان ما يقارب مليون يعانون من مشكلة إساءة المعاملة في كل عام. وان ما يقرب من (٣,٦%) من جميع الأطفال من سن ٣ إلى ١٧سنة ممن يعيشون مع الوالدين قد أسئ معاملتهم بأي صورة من صور الإساءة على مر الأيام ووصلت نسبة الإساءة البدنية للأطفال عام (١٩٨٦)إلى (٤٠%) وتم انشاء مركز وطنىللأخطاء المساء معاملتهم والمهملون في الولايات الأمريكية عام (١٩٩٤) وتم تسجيل أعلى نسبة للإساءة البدنية يليها النفسية والجنسية. ويعتبر الإهمال البدني و التعليمي أعلى نسبة يليه الإهمال النفسي.

درســت مشــكلة إساءة معاملة الأطفال لأول مرة في بحث خاص بالمركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية: وقدم عبد الوهاب كامل بحثا(١٩٩١) من منظور أكثر شــمولا لبعض المتغيرات البيئية والاجتماعية الأسرية واشتملت عينة البحث كل من محافظــة الغربــية وكفر الشيخ بلغت (٧٢٢) حالة تشمل على (٢١٢) من الإناث ، (٥١٠) مــن الذكــور. وأظهــرت الدراسة أن هناك (٢٩٢) طفلاً يتعرضون لسوء المعاملة والإهمال الشديد ، ٢٧٥طفلاً يتعرضون لسوء الإهمال والقسوة ، ١٥٥طفلا يمكــن وصــفهم بالمعذبين بالنسبة لنوعية الإهمال وسوء المعاملة ٤٨,٣% خضعوا لســوء الــتغذية المتوســطة ، ١٤,٤% سوء تغذية شديد ، ٣٣,٢% تخضع لإهانة لفظية ، ٤٠,٢% ضرب شديد ، ٣٧,٨% ضرب مبرح كالكسر والكي بالنار ، ١٨,١ % وكانــت أهم صور الإهمال المرض والتعليم. تم تسجيل في عام (١٩٩٧) (ثلاثة ملايين طفل كحالات إساءة في الولايات المتحدة وتميل حالات الإساءة البدنية ٢٢% والجنسية٨% ، و الإساءة الانفعالية ٤% ، ٥% حالات مختلطة وتميل الإهمال٥٤%

ويوجــد عــدة مؤشــرات تــدل على احتمال وجود إساءة للطفل ومنها:-

١- الأثار الموجودة في جسم الطفل نتيجة للإصابات الجسدية.

٢- ســلوكيات ســلبية لدى الطفل مثل العدوان والعنف والهروب من المنزل و أحــياناً من المدرسة وبعض الأطفال تنسحب وتصبح إنطوائية وتكون لديها عدائــية إما موجهة للذات وإيذائها أو للآخرين من أفراد الأسرة. ولقد وجد أن هــناك علاقــة ارتباطــيه موجــبة بيــن الإيذاء البدني للأطفال والتبول اللاإرادي وربما تناول المخدرات والإدمان.

٣- الاتجاهات الوالدين السلبية تجاه الطفل وسلوكياته. وعدم الاهتمام بما يصدر عــن الطفــل والــبلادة الوجدانية تجاهه مما يترتب عليه من زيادة الإهمال وزيادة من العناد من جانب الطفل.

مفهوم إساءة معاملة الطفل :

وضـــع في عام ١٩٩٦ مصطلح إساءة معاملة الأطفال وإهماله من جانب جمعية منع وعلاج إساءة معاملة الطفل الأمريكية وينص على :

(إســـاءة معاملـــة الطفـــل و إهماله هي أي سلوك من جانب الوالد أو القائم على رعايـــته والـــذي ينجم عنه أذى بدني ونفسي وانفعالي حقيقي وربما ينتج عنه وفاة الطفل) .

أشكال الإساءة و الإهمال ومظاهرهما :-

يوجد أربعة أنماط رئيسية أو تصنيف لإساءة معاملة الطفل وهى:

١- الإساءة البدنية.

٢- إهمال الطفل (البدني ، الوجداني ، التربوي) .

٣- الإساءة الانفعالية (النفسية).

٤- الإساءة الجنسية.

ويمكـــن أن يـــتعرض الطفل لإحدى هذه الإساءات و أحيانا لاثنين منهما أو أنماط الإساءة كلها.

والدراســـات في هذا المجال اتجهت وجهات مختلفة لدراسة الظاهرة ومنها المنحنى التربوي أو النفسي والطبي والاجتماعي تبعا لاهتمامات الباحثين.

أولا: إساءة معاملة الطفل البدنية:-

صـــنف الاتحـــاد الدولي لحماية الأطفال (١٩٨٦) مظاهر الإساءة البدنية فقط إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

١- إصابة بالغة أو خطيرة .

٢- إصابة ثانوية بسيطة .

٣- إصابة غير محددة .

* الحـــالات الخطـــيرة مـــثل الإصابات الدماغية وكسور العظام والحروق و إصابة الجمجمة والجروح وغيرها .

الحالات الثانوية البسيطة مثل الضرب والجروح الحقيقة والتعرض المبرد والركل. ومن مظاهر الإهمال الحرمان من الحاجات الأساسية والإشراف غير السليم والإهمال الصحي والإهمال التعليمي والإهمال النفسي والفشل في حماية الطفل من الإصابات و الإهمال المجتمعي والمؤسسي. ويقصد بالإساءة البدنية حدوث أذى بدني عندي نتيجة استخدام الوالدين أو القائمين على رعاية الطفل لأساليب عنيفة وقاسية كالضرب و العض والحرق. وربما محاولة تهذيب وتعليم الطفل بطريقة عنيفة ومؤذية للطفل بدنيا.

ثانيا: اهمال الطفل:

ويقصد به فشل الوالدين أو إحداهما أو القائمين على رعايته في إمداده بالحاجات الأساسية كالطعام والماء والحماية والملبس والعلاج ويأخذ الإهمال محاور ثلاثة تبعاً للمجال المهمل وهى:

أ. الإهمال البدني Physical Neglect:

ويقصد به ترك الطفل بدون رعاية من الجانب الجسدي أو معالجته أو تغذيته والإشراف غير الكافي على الحالة الصحية للطفل أو تركه في المنزل بمفرده أو عدم تقديم الرعاية الكافية له .

ب. الإهمال التربوي Educational Neglect :

ويشتمل على التسرب من المدرسة أو الهروب منها او عدم دخول الطفل المدرسة في السن الإلزامي المحدد وعدم تلبية الاحتياجات التربوية المتباينة للطفل .

ج. الإهمال الوجداني (الانفعالي) Emotional Neglect :

العجز أو النقص أو المنع في تزويد الطفل بالرعاية النفسية التي يحتاجها الطفل أو إهانة الطفل وتحقيره او نقص التدعيم الإيجابي لسلوكيات الطفل المرغوبة مما يؤدى إلي فقده الشعور بالثقة بالنفس .

ثالثا: الإساءة الانفعالية للطفل:

ويقصد بها الفشل في إمداد الطفل بالعاطفة والمساندة الضرورية لنموه الانفعالي والنفس الاجتماعي. ويتضمن أي سلوك من جانب الوالدين أو القائمين على رعاية الطفل. ويؤثر سلبيا على نموه النفس وتكيفه اجتماعيا ونفسيا. ونقص الحب والحنان الموجه للطفل . وزيادة إشعار الطفل بالذنب والخجل والتقليل من قيمته الذاتية بالمقارنة بالأقران والأخوان. و إطلاقه التعليقات اللاذعة ضد شخص الطفل وخصائصه السلوكية والجسدية.

رابعا: الإساءة الجنسية للطفل:

ويقصد بها أي سلوك جنسي بين الطفل وغيره سواء راشد أو مراهق أو طفل أخر. ويهدف إلى إشباع الأخر وإرضائه و يشتمل على المداعبة الجنسية والاغتصاب واللواط والاستغلال التجاري وذلك باستخدام الطفل في ممارسة البغاء أو إنتاج الصورة الجنسية أو المشاهدة الجنسية. وتعتبر الإساءة الجنسية أقل حالات الإساءة شيوعا. وتندر في بعض المجتمعات وتكثر فى أخرى. ولا يوجد لها إحصائيات دقيقة حيث لا يبلغ عنها وما يحيط بها من سرية وعدم الإعلان عنها أو الاعتراف بها .

أسباب الإساءة للطفل :

يمكن تقسيم أسباب الإساءة للطفل إلى محاور ثلاثة وهى:

- أولا: أسباب تتعلق بالطفل .
- ثانيا: أسباب تتعلق بالوالدين أو أحدهما أو المشرفين على الطفل.
- ثالثا: أسباب تتعلق بالبيئة.

أولا: أسباب تتعلق بالطفل:

وتشمل التأخر في النمو ونقص الوزن والإعاقة بأشكالها والأمراض المزمنة والنشاط الزائد واضطراب الانتباه والحالة المرضية والوجدانية للطفل ورغم ان مشكلة الإساءة للطفل مشكلة متعددة الأبعاد لا يمكن النظر إلي البعض دون النظر إلى الأخر عن الأسباب الكامنة وراء هذه الظاهرة وهذا بالإضافة إلى مدى تقبل الطفل أو الرغبة فيه والاتجاه الوالدى نحوه.

ثانيا: أسباب تتعلق بالوالدين:

- خبرات الحرمان والقسوة والإساءة لهم في الماضي .
- الأفكار الخاطئة والمعتقدات الخاطئة حول الأساليب التربوية المطلوبة في كل مرحلة عمرية من حياة الطفل .
- يرى بعض الباحثين أن من خصائص الأباء اللذين يسيئون إلى معاملة الأطفال الأنانية والاندفاعية والنرجسية وعدم النضج الانفعالي .
- انخفاض نسبة ذكاء الوالدين والمستوى التعليمي لهم والثقافي .
- الاضطرابات الوجدانية المختلفة مثل الاكتئاب وغيرها .
- الاضطرابات العقلية وما يصاحبها من مسالك عنف وعدوان.
- الأمراض المزمنة ومصاحبتها النفسية والإعاقات .
- المستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة وما تمثله من أعباء وضغوط على هؤلاء الأباء .
- حجم الأسر والترتيب الميلادي للطفل ونوع الجنس والشكل العام للجسم .
- نقص الخبرة في معاملة الأطفال ونقص مهارات التكيف والعجز عن التحكم في الانفعالات والعزلة الاجتماعية ونقص في المهارات الزوجية .
- تناول الأباء للمخدرات والخمر و المنومات .
- الخلافات الزوجية والطلاق والتفكك الأسرى .

ثالثا: أسباب تتعلق بالبيئة:

يتسع المجال البيئي ليشمل الأسرة والمدرسة والمجتمع والظروف الاقتصادية والاجتماعية ولذلك يختلف المجال البيئي وتأثيره من أسرة لأخرى ومن دولة لأخرى ومن هذه الخصائص :

- البطالة وانخفاض الدخل الأسرى مثل حالات الأسر ذات الأحجام الكبيرة مع انخفاض الدخل الأسرى مما يدفع بالأطفال إلى سوق العمالة في سن صغيرة وما يتعرض له الطفل من الإساءة بكل أنماطها .

- التفكك الأسرى والهجر والطلاق وغياب الأب أو الأم عن المنزل مما يزيد من أعباء أحدهما وينتج عن الضغط النفسي للمسئولية التربوية الملقى على أحدهما الغضب والقسوة في التفاعل الوجداني والاجتماعي مع الأطفال .
- السكن والإقامة في المناطق المحرومة ثقافياً وذات مستوى اقتصادي وثقافي منخفض حيث يسود العنف في التعامل بين أفراد مثل هذه التجمعات السكنية التى يكثر فيها المنازعات للازدحام السكاني وتقليد النماذج العدوانية من الشباب وحيث ينتشر بينهم تعاطى المخدرات والمخالفات القانونية و أحيانا الأخلاقية.

الآثار النفسية المترتبة على الإساءة والإهمال:

ويمكن تلخيص الآثار النفسية المترتبة على إساءة معاملة الطفل في الظواهر الآتية:

١- عدم الاستقرار الانفعالي والتبول اللاإرادي .
٢- نقص القدرة على الاستمتاع بالحياة والإدمان .
٣- ضعف مهارات التواصل اللفظي وغير اللفظي (مثل الحركي و الإيمائي).
٤- العجز عن التحمل والصبر والمرونة في مواجهة المشكلات اليومية .
٥- فقد الثقة بالنفس وزيادة الشك والريبة والمسالك الوسواسية القهرية .
٦- الانسحاب والتأخر الدراسي وانخفاض مستوى الطموح .
٧- انخفاض تقدير الذات والنشاط الزائد .
٨- التمرد والعناد والهروب من المنزل أو المؤسسة التربوية .
٩- ضعف الشهية للطعام وارتفاع مستوى مشاعر الذنب .
١٠- انتشار الكذب والسرقة وتعاطى المخدرات والشعور بالوحدة النفسية .
١١- الخوف المستمر والمستقبلي من الآخرين .
١٢- عدم القدرة على تكوين صداقات ناجحة وظهور الاضطرابات الجنسية .
١٣- اضطراب مفهوم الذات والفشل في تحقيق الأهداف .

١٤- ظهور مشكلات تعليمية متباينة .

١٥- ضعف عملية الضبط الذاتي والاستقلالية .

١٦- مشكلات عنف وعدائية مع الرفاق وعصبية مفرطة في التعامل .

١٧- حزن واكتئاب وأفكار انتحارية أو تسجيل بعض المحاولات الانتحارية .

وتظهر الآثار للإساءة والإهمال على المدى الطويل في مرحلة المراهقة والرشد وكذلك تترك آثارا سيئة على القائم بالإساءة سواء كانت أثار قانونية أو شخصية مثل مشاعر الذنب وفقد التواصل مع الأطفال أو الهروب من المنزل أو تفكك الأسرة .

علاج مشكلة إساءة معاملة الأطفال :

تحتاج علاج مشكلة إساءة معاملة الأطفال لتضافر كل الجهود المعنية بالطفولة والأسرة والمجتمع لتعدد الأطراف التي تحتاج لتدخل نفسي علاجي مثل الطفل والأباء. وتعديل الظروف البيئية كما يحتاج العلاج إلى مراحل وهى:

١. التعرف على نمط الإساءة وتاريخها و أثارها ومصدرها .

٢. إبعاد الطفل عن مصدر الإساءة للبدء بالمرحلة العلاجية .

٣. إعادة تنمية وتربية الطفل و إظهار القدرات والخصائص الإيجابية في شخصه .

٤. استخدام أسلوب علاجي مناسب لحالة الطفل و إمكانيات أسرته مثل العلاج باللعب او أسلوب العلاج الجمعي الأسرى وبرنامج الإرشاد النفسي للوالدين أو المشرفين على تربيته .

٥. ضرورة توافر التقارير الاجتماعية والنفسية والطبية للطفل والقانونية أيضاً في حالات الإصابات الجسدية الناتجة عن الإساءة وما لها مستقبلاً. وذلك ليمكن وضع الخطة العلاجية المناسبة. ويتم ذلك بتعاون الوالدين مع كافة الجهات المعنية للوصول إلى علاج لهذه الحالات. يجب ان يسبق هذه المرحلة التركيز على الوقاية من الظاهرة.

٦. التأهيل التربوي والنفسي والاجتماعي للمعالج شرط أساسي للتعامل مع هذه المشكلة.

٧. تحديد الهدف بدقة والحديث والتعبير بصراحة وحرية. والتوضيح للأباء عن طول الخطة العلاجية واحتياجها للصبر والمثابرة والوضوح وبناءاً على ما توصلت إليه بعض الدراسات فإن العلاج النفسي باللعب أو العلاج النفسي الجماعي أكثر تأثيراً إيجابيا في حياة الطفل المعالج بإحدى هذه التقنيات .

□ المراجع العربية والأجنبية :

١- أحمد السيد إسماعيل(٢٠٠١): الفروق في إساءة المعاملة وبعض متغيرات الشخصية بين الأطفال المحرومين من تلاميذ المدارس المتوسطة بمكة المكرمة. مجلة دراسات نفسية. المجلد الحادي عشر. العدد الثاني ٢٢٦-٢٩٧.

٢- السيد عبد العزيز رفاعى (١٩٩٤): إساءة معاملة الطفل وعلاقتها ببعض المشكلات النفسية. ماجستير. معهد دراسات الطفولة .

٣- بدرية كمال أحمد (١٩٩٤): الإساءة للطفل (دراسات نفسية اجتماعية) . المؤتمر العلمي الثاني لمعهد دراسات الطفولة. جامعة عين شمس.ص٢٢١-٢٥٩.

٤- صالح بن عبد الله (٢٠٠٠): إساءة معاملة الأطفال. المؤتمر العلمي السنوي لمركز دراسات الطفولة . ص٩٠-١٠١.

٥- عبد الوهاب محمد كامل (١٩٩١): سوء معاملة الأطفال. المؤتمر القومي الرابع للطفل المصري. مركز دراسات الطفولة. المجلد الثاني. ص١٠١٢-١٠٢٨.

٦- علاء الدين كفافى (١٩٩٠): الصحة النفسية. القاهرة. هجر للطباعة والنشر. ص٢.

٧- هدى محمد قناوى (١٩٩٦): الطفل وتنشئته وحاجاته. القاهرة. مكتبة الأنجلو المصرية.

8- **Boivin , M & Begin G. (1991)**: Rejected children child Development . Vol.60.391-396

9- **Friendnich, M. N. Einbender, N.J (1983):** Characteristics of physically Abused children. Journal of consulting and Clinical Psychology ,51, 313-314.

10- **Hollingsworth, N. L. (1991):** child Abuse as Aconitum or Class Variableur The Predication of Self Competency and Locus of Control. Dissertation Abstracts International. 52 (1). 570.